

١٢٠

المقالات والرسائل

قاعدة اللطف

السيد محسن الخرازي



قاعدة اللطف

«السيد محسن الخرازي»

نام : المقالات و الرسالات = مجموعه مقالات کنگرهٔ شیخ مفید (ره)

تعداد اجزاء : ۵۰

مؤلّفان : گروهی از علماء و اساتید حوزه و دانشگاه

زبان : عربی و فارسی

چاپ : اوّل

تاریخ : ۱۴۱۳ هجری ـ قمری

چاپخانه : مهر ـ قم

تیراژ : ۱۰۰۰

ناشر : کنگرهٔ هزاره شیخ مفید (ره)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ولعنة الله على اعدائهم اجمعين إلى قيام يوم الدين.

اما بعد، هذه وجيزة، ذكرت فيها ماهية اللطف، و الادلّة العقلية لها بتقاريبها الكلامية والفلسفية، والشبهات المذكورة حول القاعدة واجوبتها، والايات والروايات التى اشير فيها بنحو إلى تلك القاعدة. وفي النهاية اشرت إلى جملة من موارد تطبيقها و كمية حدودها وذكرت بمناسبة المسائل آراء العالم الوحيد الشيخ المفيد ـ قدس سره ـ التي تكون بين الآراء والأقوال ممتازة قيمة لامعة زاهرة اذ مشى الشيخ المفيد ـ قدس سره ـ في مختاراته طريقاً أخصر و أسدّ لم يرد عليه أكثر الايرادات والاشكالات.

ارجو من الله تعالى ان يجعل بفضله هذه الوجيزة نافعة لي و الاخواني وذخيرة لمعادي والله هو ذوالفضل العظيم.

ماهية اللطف

اكثر أهل الكلام عرفوه بما يكون المكلف معه اقرب إلى الطاعة وابعد من

فعل المعصية .

قال الشيخ المفيد ـ قدس سره ـ: اللطف مايقرب الملكف معه إلى الطاعة ويبعد عن المعصية ولا حظّ له في التمكين ولم يبلغ الإجبار[1].

قال الشيخ الطوسي ـ قدس سره ـ: اللطف عبارة عن ما يدعو إلى فعل الواجب ويصرف عن القبيح[2].

قال العلامة ـ قدس سره ـ: اللطف هو مايقرب معه من فعل الطاعة ويبعد عن المعصية ولم يكن له حظّ في التمكين[3].

قال الفاضل المقداد: هو مايكون المكلف به اقرب إلى فعل الطاعة وترك المعصية ولا يبلغ الالجاء وليس له حظ في التمكين[4].

قال في قواعد المرام: مرادنا باللطف هو ما كان المكلف معه اقرب إلى الطاعة وابعد من فعل المعصية ولم يبلغ حدّ الالجاء[5].

قال الشبر: هو مايقرّب العبد الى طاعة اللّه ويبعّده عن معصية بغير الجاء أي اكراه ولااجبار اذ لاإكراه في الدين ولادخل له في اصل القدرة اذ قد اعطى سبحانه كل مكلف قدرة الفعل والترك في ماكلفهم كما قال اللّه تعالى «لايكلف اللّه نفساً الاّ وسعها»[6].

«ولايكلف اللّه نفساً إلاّ ما اتاها»[7] فاللطف امر زائد على ذلك ـ إلى أن قال ـ: ولعلّ المراد باللطف الواجب ما لايتم التكليف بدونه كارسال الرسل والانبياء

١ـ النكت/٣١.

٢ـ كتاب تمهيد الاصول في علم الكلام/٢١٥.

٣ـ كتاب نهج المسترشدين/٥٥.

٤ـ كتاب اللوامع الالهية/١٦٦.

٥ـ قواعد المرام/١١٧.

٦ـ البقرة/٢٨٦.

٧ـ الطلاق/٧.

ونصب الأئمة والاوصياء عليهم السلام في كل زمان[١].

والحاصل أن اللطف بالمعنى المذكور المصرح به في كلمات علماء الامامية محدود بالامرين: احدهما ثبوت التكليف قبلا و ثانيهما عدم بلوغ اللطف إلى حد الالجاء والاجبار اما الأول فان اللطف هو مايقرب المكلف، فتكليف المكلف خارج عن اللطف كما أن الالجاء والاجبار خارجان عنه.

ولذلك قال في كاشف الاسرار: ليس اصل التكليف داخلاً في حقيقة اللطف، بل هو محقق الموضوع لأن بدون التكليف لاطاعة ولامعصية فلامعنى للتقريب إلى الطاعة أو التبعيد عن المعصية بدونهما كما أن مقام الاضطرار وسلب الاختيار خارجان عن حقيقة اللطف، اذ مع وجودهما لاتكليف، ومع عدم التكليف لاموضوع للتقريب إلى الطاعة ولاالتبعيد عن المعصية كما لايخفى.

وعليه فاللطف محدود بالحدين ثم يكون لما بين الحدين عرض عريض و جميع درجاته و مراتبه لطف في حق المكلفين[٢].

ولايخفى عليك أن اعتبار القرب والبعد نحو الطاعة و عن المعصية في حقيقة اللطف من باب مدخليتهما في الغرض وهو الطاعة والمعصية و عليه فالتكليف ايضاً مما له المدخلية في تحقق الطاعة والمعصية، فالأولى أن يعرف اللطف بما يشمل نفس التكليف ايضاً كان يقال إن اللطف هو مايقرب الانسان إلى الطاعة ويبعده عن المعصية فلاوجه لاخراجه من حد اللطف مع أن التكاليف تقرب الانسان نحو المصالح وتبعده عن المفاسد ولعلّه لذا قالوا إن التكاليف الشرعيّة الطاف في الواجبات العقلية بل يمكن التعدى عن التشريع إلى التكوين لأن ملاك البرهان عام وهو انه تعالى يفعل بلطفه في حق عباده ما له المدخلية في صيرورتهم طائعين كاملين، فالعقل ايضاً مما يقتضيه اللطف لمدخليته في

١ـ حق اليقين/١٥٠.

٢ـ كاشف الاسرار للانظر علي الطالقاني/٥٣.

صيرورة الانسان عبداً مختاراً مطيعاً وهو الغرض.

ولعله لذلك قال في كاشف الاسرار: إن قاعدة اللطف في لسان العلماء قدس الله اسرارهم مخصوصة بعالم التكليف والاوامر والنواهي ولاتشمل عالم التكوين ولذا يكون قاعدة اللطف اخص من القواعد الثلاث الجارية في الاعم كقاعدة قبح ترجيح المرجوح على الراجح أو استحالته وقاعدة قبح نقض الغرض واستحالته وقاعدة وجوب العلم بالاصلح والاتقن والاحكم.

مع أن مناط قاعدة اللطف اعم وعليه فلك أن تعمم قاعدة اللطف وتجريها في التكوينيات ايضاً كالقواعد الثلاثة المذكورة التي تكون فروعها غير متناهية[1].

ولعل وجه اقتصارهم على ذلك هو انهم في صدد بيان لزوم ارسال الرسل والبعثة بعد اثبات لزوم اصل التكليف وحسنه.

وكيف كان فظاهر تعريفهم هو فعلية التقريب والتبعيد مع أن الوجدان قاض بخلافه لعدم تقريب جميع العباد نحو الطاعة ولعدم تبعيدهم عن المعصية فاللازم هو التعبير بما يصلح للتقريب والتبعيد وعليه فكلّ مايصلح للداعوية نحو الطاعة وللزاجرية عن المعصية لطف ولا يختص بالتقريب والتبعيد الفعليّين وعبارة الشيخ ـ قدس سره ـ و إن كانت اجود من غيره حيث قال اللطف عبارة عما يدعو إلى فعل الواجب إلاّ أن الاشكال باق في قوله ويصرف عن القبيح فلاتغفل.

ثم لايذهب عليك أن اللطف هو مايصلح لتحقق الغرض والغرض المذكور في عبائر أهل الكلام هو الطاعة والاجتناب عن المعصية وهى من الاغراض المتوسطة، اذ الغرض من الخلقة هو التكليف والغرض منه هو الطاعة والغرض منها هو التقرب إلى الله تعالى وهو كمال الانسان وسعادته وهو الغرض النهائي، نعم كل واحد من هذه الاغراض في طول الاخر.

١ـ كاشف الاسرار/٣٦١.

وعليه فلامانع من أن يعرف اللطف بعد فرض عموم الملاك بما يصلح لتقريب الانسان نحو كماله النهائي وسعادته الأبدية وعليه فكل ما له دخل في تحصيل هذا الغرض يكون لطفاً سواء كان من التشريع أو التكوين.

ومما ذكر يظهر ان التكليف والوعد والوعيد والانذار والتبشير والحدود والقصاص والتعزيرات وارسال الرسل و تعيين الاولياء والاوصياء و عصمتهم واقامة البينات والمعجزات، كل ذلك من مظاهر اللطف كما أن العقل وعروض الاحوال كالصحة والسقم والفقر والغنا والضعف والقوة وطروّ الابتلاءات ونحوها ايضاً من الالطاف التي لها دخل هامّ في تسيير الانسان نحو الغرض النهائي وهو التقرب إلى اللّه تعالى و سعادته الأبدية.

ثم إن اللطف في لغة العرف هو الاحسان وعليه فما سواه لطف منه تعالى إن خصصه أهل الكلام بالتشريعيات ولكن مرّ عموم الملاك وصحة اطلاقه في التكوينيات ايضاً[1].

واذا عرفت معنى اللطف فللزومه تقريبان: التقريب الكلامي والتقريب الفلسفي واليك بيانهما.

---

١ ـ راجع كاشف الاسرار/٣٦١و٥٣.

التقريب الكلامي

لا يخفى عليك أن لزوم تحصيل الغرض على الحكيم بديهي ولا مجال للاشكال فيه ولذلك عده في كاشف الاسرار من البديهيات والقطعيات، وحيث إن اللطف على ماعرفت هو ما له دخل في تحصيل الغرض من الخلقة فلزوم اللطف ايضاً من البديهيات والقطعيات، قال الشيخ المفيد ـ قدس سره ـ: الدليل على وجوب اللطف توقف غرض المكلف عليه فيكون واجباً في الحكمة وهو المطلوب(١).

قال المحقق الطوسي ـ قدس سره ـ: إن اللطف واجب لتحصيل الغرض به. قال العلامة الحلي ـ قدس سره ـ في شرحه: والدليل على وجوبه انه يحصل غرض المكلف فيكون واجباً وإلا لزم نقض الغرض، بيان الملازمة: أن المكلف اذا علم أن المكلف لا يطيع إلاّ باللطف فلو كلفه من دونه كان ناقضاً لغرضه كمن دعا غيره إلى طعام وهو يعلم أنّه لا يجيبه إلاّ اذا فعل معه نوعاً من التأدب فاذا لم يفعل الداعي ذلك النوع من التأدب كان ناقضاً لغرضه، فوجوب اللطف يستلزم تحصيل الغرض(٢).

قال في قواعد المرام: واما وجوبه فبرهانه انه لو جاز الاخلال به في الحكمة

١ـ النكت/٣٢.

٢ـ شرح تجريد الاعتقاد/٣٢٤ ـ ٣٢٥ الطبعة الحديثة ومثله في نهج المسترشدين/٥٥و٥٨.

فبتقدير أن لا يفعله الحكيم كان مناقضاً لغرضه لكن اللازم باطل فالملزوم مثله.

بيان الملازمة: انه تعالى اراد من المكلف الطاعة فاذا علم انه لا يختار الطاعة أو لا يكون اقرب إليها إلاّ عند فعل يفعله به لا مشقة عليه فيه ولا غضاضة وجب في الحكمة أن يفعله اذ لو اخل به كشف ذلك عن عدم إرادته له وجرى ذلك مجرى من أراد من غيره حضور طعامه وعلم أو غلب على ظنه انه لا يحضر بدون رسول فمتى لم يرسل عد مناقضاً لغرضه.

بيان بطلان اللازم أن العقلاء يعدون المناقضة للغرض سفهاً وهو ضد الحكمة ونقص والنقض عليه تعالى محال[1]. مقتضى هذه العبائر أن وجه الوجوب واللزوم هو حكمة الباري تعالى فإنها تقتضي أن يحصل ما له دخل في الغرض وخلاف ذلك سفه لا يليق بساحته وخلف في حكمته تعالى.

وهذا النحو من الاستدلال يشبه التقريب الفلسفي الآتي من أن كمال الذات وعلمه وحكمته يوجب لزوم اللطف لا أن تقبيح العقلاء وحكمهم بقبح نقض الغرض و قبح الظلم موجب للزوم اللطف كما يظهر من بعض عبارات أهل الكلام.

ويشهد أيضاً على أن مقصود العبائر المذكورة هو ذلك لا ذاك ما صرح به الشيخ المفيد ـ قدس سره ـ من أن ما اوجبه اصحاب اللطف من اللطف إنما وجب من جهة الجود والكرم لا من حيث ظنوا أن العدل اوجبه وانه لو لم يفعل لكان ظالماً[2].

فهذه العبارة تصلح لشرح كلمات متكلمي الشيعه وهو أن مقصودهم من وجوب اللطف أن منشأ وجوب اللطف هو الجود والكرم و صفاته الكمالية

١ـ قواعد المرام/١١٧ ونحوه في اللوامع الالهية/١٥٢.

٢ـ اوائل المقالات/٦٥.

فاللزوم من جهة نفس الذات لا من جهة الحكم الخارجي الذي حكم به العقلاء من ناحية لزوم العدل وقبح الظلم.

ومما ذكر يظهر ضعف ما قيل من أن مبنى قاعدة اللطف عندهم هو قاعدة الحسن والقبح العقلي التي كثرت الابحاث والمناقشات فيها فللازم هو الاستدلال بأن الغرض هو الاستكمال والاخلال بالغرض لا يليق به لما عرفت من أن مبنى قاعدة اللطف في امثال العبائر المذكورة، هو استحالة الخلف والمناقضة لا قاعدة الحسن والقبح العقلى و إن كان ظاهر بعض هو ذلك حيث قال في تقريبه إن ترك اللطف نقض للغرض ونقض الغرض قبيح فترك اللطف قبيح[١].

هذا مضافاً إلى أن مجرد احتياج قاعدة الحسن والقبح العقلي إلى النقض والابرام ورد الايرادات لا يضر بصحتها والحاجة إليها وايضاً التقريب الذي انتهى إليه القائل لا يخرج عن حقيقة اللطف على ما مر آنفاً من عموم الملاك فراجع.

على أن من لم تثبت قاعدة الحسن والقبح العقلي عنده كيف الزم الناس بالتحقيق حول المسائل الاعتقادية وكيف اثبت قبح العقاب بلا بيان وغير ذلك من نظائره.

التقريب الفلسفي

الحكماء اثبتوا كل مايحتاج إليه الانسان في طريق الاستكمال بصفاته تعالى واليك عبائرهم: قال في عقائد الامامية: ان اللطف بالعباد من كماله المطلق وهو اللطيف بعباده والجواد والكريم. فاذا كان المحل قابلاً ومستعداً لفيض الوجود

١ـ سرمايه ايمان/٧٩ ونحوه في حق اليقين للشبر/ ١٥٠ ـ ١٥١.

واللطف فإنه تعالى لابد أن يفيض لطفه اذ لا بخل في ساحة رحمته ولا نقص في جوده وكرمه.

وليس معنى الوجوب هنا أن احداً يأمر بذلك فيجب عليه أن يطيع تعالى عن ذلك، بل معنى الوجوب في ذلك كمعنى الوجوب في قولك إنه واجب الوجود (أي اللزوم واستحالة الانفكاك)[١].

قال الشيخ ابو على ابن سينا في تبيين لزوم بعض مصاديق اللطف كالنبوة: فلايجوز أن يكون العناية الاولى (وعلمه تعالى بنظام الخير) تقتضى تلك المنافع (كاثبات الشعر على الأشفار وعلى الحاجبين و تقعير الاخمص و غير ذلك) ولا يقتضي هذه (أي النبوة) التي هى أسّها[٢].

قال صدرالمتألهين في مورد اثبات النبوة: و كما لا بد في العناية الالهية لنظام العالم من المطر مثلا والعناية لم تقصر عن ارسال السماء مدراراً فنظام العالم لا يستغنى عمّن يعرفهم موجب صلاح الدنيا والاخرة فانظر إلى لطفه و رحمته كيف جمع لخلقه بايجاده ذلك الشخص بين النفع العاجل في الدنيا والاجل في العقبى و كيف خلق هذا الاجل النظام، نعم من لم يهمل انبات الشعر على الحاجبين و تقعير الاخمصين في القدمين كيف يهمل وجود رحمة للعالمين و سائق العباد إلى رحمته و رضوانه في النشأتين الخ[٣].

وقال في الاشارات: اشارة: لما لم يكن الانسان بحيث يستقل وحده بامر نفسه إلاّ بمشاركة آخر من بني جنسه و بمعارضة و معاوضة تجريان بينهما يفرغ كل واحد منهما لصاحبه عن مهم لو تولاه بنفسه لازدحم على الواحد كثير و كان مما يتعسر إن امكن. وجب ان يكون بين الناس معاملة و عدل يحفظه شرع

١ـ عقائد الامامية/ ٥١ ط نجف.

٢ـ الالهيات من كتاب الشفا صفحات ٥٥٦ و٤٤١ ط مصر.

٣ـ كتاب المبدء والمعاد/ ٣٦٠ـ ٣٦١.

يفرضه شارع متميّز باستحقاق الطاعة لاختصاصه بآيات تدلّ على انها من عند ربه.

و وجب أن يكون للمحسن والمسيئ جزاء عند القدير الخبير فوجب معرفة المجازي والشارع ومع المعرفة سبب حافظ للمعرفة ففرضت عليهم العبادة المذكرة للمعبود وكررت عليهم ليستحفظ التذكير بالتكرير حتى استمرت الدعوة إلى العدل المستقيم لحياة النوع ثم زيد لمستعمليها بعد النفع العظيم في الدنيا الاجر الجزيل في الاخرى ثم زيد للعارفين من مستعمليها المنفعة التي خصّوابها فيماهم مولّون وجوههم شطره.

فانظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة والنعمة تلحظ جنابا تبهرك عجائبه ثم أقمواستقم[١].

قال المحقق الطوسي في شرح الاشارة المذكورة: اثبت النبوة والشريعة و مايتعلق بهما على طريقة الحكماء لأنه متفرع عليهما واثبات ذلك مبنى على - قواعد إلى أن قال - (بعد تبين القواعد الاربع) ثم إن جميع ذلك مقدر في العناية الاولى لاحتياج الخلق إليه فهو موجود في جميع الاوقات والازمنه وهو المطلوب و هو نفع لايتصور نفع اعم منه وقد اضيف لمتثلي الشرع إلى هذا النفع العظيم الدنيوي الاجر الجزيل الاخروى حسبما وعدوه واضيف للعارفين منهم إلى النفع العاجل والاجر الاجل الكمال الحقيقى المذكور.

فانظر إلى الحكمة وهي تبقية النظام على هذا الوجه ثم إلى الرحمة وهو ايفاء الاجر الجزيل بعد النفع العظيم وإلى النعمة وهي الابتهاج الحقيقى المضاف إليهم، تلحظ جناب مفيض هذه الخيرات جنابا تبهرك عجائبه اي تغلبك وتدهشك ثم اقم أي اقم الشرع واستقم اى في التوجه إلى ذلك الجناب

١ـ شرح الاشارات ٣/ ٣٧١.

القدس[١].

قال المحقق الاشتياني ـ قدس سره ـ: لاريب في أن العقلاء لايقدمون في الامور المهمة الاختيارية من دون توقع النتيجة العقلائية. ومن فعل امرا من دون تلك النتيجة عدّوه من السفهاء، فالمبدء الذي افاض العقل إلى العقلاء كيف يمكن أن يفعل هو نفسه على خلاف العقل، فالضرورة والعقل المستقيم حاكمان على استحالة أن يكون خلقه العالم من دون نتيجة مطلوبة عقلائية مع مافيها من البلايا والتعدي والزحمات ومع غنائه تعالى عن الحاجة الى المخلوقات ومع تنزهه عن الظلم أو العداوة مع مخلوقاته. بل هو ككلّ صانع يحبّ مصنوعه فالعقل يحكم بالضرورة أن الحكيم المتعالى لايخلق هذا الخلق العظيم إلاّ لوصولهم إلى الكمال و يهيئ لهم اسباب ذلك.

وحيث إن كمال الانسان لايحصل إلاّ بارسال الرسل ارسلهم اليهم حتى يمكن لهم أن يصيروا من جهة المعارف والاعمال والاخلاق كاملين ويصلوا إلى المقامات العالية[٢].

وبالجملة مرجع هذه الكلمات ونظائرها إلى أن مقتضى كمال المبدء المتعال من جهة الاسماء والصفات هو الاحسان واللطف إلى من يحتاج إليه و عدم البخل والمنع، وإلا لزم الخلف فى كماله فكل ما يحتاج إليه الخلق لاسيما الانسان لطف و صادر من صفاته ولازم لصفاته من دون حاجة إلى حكم العقلاء بلزوم العدل وقبح الظلم كما عرفت أن هذا هو المستفاد من كلام الشيخ المفيد ـ قدس سره ـ ايضاً حيث قال: اللطف إنما وجب من جهة الجود والكرم لا من حيث إن العدل اوجبه وإنه لو لم يفعل لكان ظالماً[٣].

١ـ شرح الاشارات ٣/ ٣٧١ ـ ٣٧٤.

٢ـ چهارده رساله لآية الله الميرزا احمد الآشتيانى/٢٠٣ مع تصرف قليل في النقل.

٣ـ اوائل المقالات/٦٥.

ومما ذكر يظهر أن معنى الوجوب هو اللزوم لاحكم العقلاء عليه حتى يقال انه تعالى لايقع تحت حكم العقلاء ولايتأثّر من غيره.

ثم لايخفى عليك أن غرض الخلقة و هو الايصال إلى الكمال غرض الفعل لأن الفعل الكامل هو ذلك لاغرض الفاعل اذ غرض المبدء المتعال من الفعل الكامل ليس إلاّ نفس ذاته تعالى حيث انه سبحانه اذا رأى نفسه كاملا و أحبّ آثار نفسه افاض الفيض الكامل ولامعنى للاستكمال في المبدء المتعال لانه عين الكمال و محضه ولانقص ولافقدان هناك حتى يكون في صدد رفعه بالاستكمال قال في المنظومة. ايصال كل ممكن لغاية[١].

اذمقتضى الحكمةوالعناية

ولايذهب عليك أن كل من ذهب إلى لزوم الاصلح و وجوبه كالشيخ المفيد والمحقق اللاهيجي والفاضل الطالقاني التزم بوجوب اللطف بالاولوية.

قال الشيخ المفيد: اقول إن اللّه تعالى لايفعل بعباده ماداموا مكلفين إلاّ اصلح الاشياء لهم في دينهم ودنياهم وإنه لايدخرهم صلاحاً ولانفعاً وأن من اغناه فقد فعل به الاصلح في التدبير وكذلك من افقره ومن اصحه ومن امرضه فالقول فيه كذلك[٢].

قال المحقق اللاهيجي: ان الاصلح فيما اذا لم يكن منافيا لمصلحة كل النظام واجب لأن علمه تعالى يقتضى وقوع النظام على اتم وجوهه لانه مبدء كل خير ولامانع منه[٣] و مناط وجوب الاصلح وهو العلم والعناية موجود في اللطف ومايحتاج إليه الخلق ايضاً.

١ـالمنظومةللفيلسوفالسبزواري/١١٨.

٢ـاوائل المقالات/٢٥.

٣ـگوهر مراد/٢٥٠.

قال الفاضل الطالقاني - قدس سره -: وقد علمت أن صدور الفعل من الفاعل إمّا من جهة كمال ذاته فالغرض من فعله هو الاحسان ومقصوده من الفعل هو الفرار من البخل فلاريب في أن الفاعل اذا امكن له الاحسان فكل مقدار منه لم يفعله فبخل بمقداره فكما أن الفرار من اصل البخل يكون لازماً فكذلك الفرار من جميع مراتبه.

وإما يكون صدور الفعل من جهة نقص الفاعل فالغرض منه هو الاستكمال ومقصوده هو الفرار عن العيب والنقص والعجز والفقر ومن المعلوم أن كل مقدار من الكمال لم يحصله مع امكان تحصيله كان نقصاً وعيباً عليه وعليه فاذا كانت الحركة في الجملة نحو الكمال واجبة، فيكون كذلك كل المراتب والدرجات الممكنة كذلك لوحدة المناط[1].

فتحصل أن الاصلح والاتقن واجب عند الامكان وعدم المانع سواء كان الفاعل كاملاً أو ناقصاً وحيث إن اللّه سبحانه و تعالى عين الكمال من جميع الجهات فصدور الاصلح منه تعالى لازم ومن المعلوم أن الاصلح اذا كان واجباً كان مايحتاج إليه الخلق وهو اللطف واجباً بطريق اولى.

و اورد عليه في عقائد النسفى (المتوفى ٥٣٧) بقوله إن ماهو الاصلح للعبد فليس ذلك بواجب على اللّه تعالى وإلاّ لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا والاخرة ولما كان له منة على العباد واستحقاق شكر في الهداية وافاضة انواع الخيرات لكونها اداء للواجب.

ولما كان امتنانه على النبي عليه السلام فوق امتنانه على ابي جهل اذ فعل اللّه لكل منهما غاية مقدوره من الاصلح له.

ولما كان لسئوال العصمة والتوفيق وكشف الضراء والبسط في الخصب

١ـ كاشف الاسرار/٣٨١.

والرخاء معنى لأن ما لم يفعله في حقّ كل واحد فهو مفسدة له يجب على اللّه تعالى تركه ولما بقي في قدرة اللّه بالنسبة إلى مصالح العباد شيئ اذقد اتى بالواجب ولعمرى أن مفاسد هذا الاصل اعني وجوب الاصلح بل اكثر اصول المعتزلة اظهر من إن يخفى واكثر من أن يحصى[1].

وفيه مواقع للنظر: احدها أن خلقة الكافر الفقير المعذب في الدنيا والاخرة لاتنافي مع وجوب اللطف والاصلح والحكمة لأن خلقة الانسان لنيله إلى الكمال عين الحكمة فلاوجه لقول الشارح العدم اصلح ثم إن الكفر مستند إلى الكافر وهو الذي يوجب عذابه في الدنيا والاخرة والفقر وغيره من المشكلات فيما اذا لم يكن من جهة اهمال الاشخاص أو ظلم ظالم يكون بصلاحهم وفيما اذا كانت باهمالهم فانفسهم مقصرون وفيما اذا كانت بظلم ظالم فالظالم مقصر و سيعاقب والقول بأن مع العلم بحال الكافر الفقير كيف خلقه اللّه تعالى سؤال مشترك سواء قلنا بوجوب الاصلح واللطف أو لم نقل والجواب عنه هو أن خلقته مع كونه كذلك في النظام الاتم مستحسنة ولذا خلقه اللّه تعالى بحكمته.

ثانيها أن اللطف والاصلح لايسلب الاختيار ومع وجود الاختيار يمكن منع اللطف والاصلح فحيث لم يمنعه من اجل حكمته وكماله فله المنة على العباد و يستحق الشكر في افاضة انواع الخيرات اليهم.

ألا ترى أن انقاذ الغريق من الواجبات العقلية و مع ذلك للمنقذ المنة على الغريق الذي نجاه من الغرق و يستحق الشكر لذلك وليس ذلك إلاّ لكونه مختاراً في فعله.

وممّا ذكر يظهر ما فى قوله: ولما كان امتنانه على النبي (صلى اللّه عليه وآله)

١ـ العقائد للنسفى/١٣٣ ـ ١٣٠.

فوق امتنانه على ابي جهل اذ فعل اللّه لكلّ منهما غاية مقدوره من الاصلح له.

وذلك لأن اختيار الانسان في الاطاعة والمخالفة عامل لاستحقاق اللطف الزائد وعدمه فمن عبد اللّه غاية العبادة استحق النيل إلى لطف زائد لا يستحقه غيره ممّن اختار طريق الأ دون أو المخالفة ومن المعلوم أن الامتنان بالنسبة إلى من كان في الاطاعة اطوع ازيد باللطف الزائد.

ثالثها أن من مصاديق اللطف هو اعطاء الشيء اذا اعترف العباد بالعبودية وبصفات المبدء المتعال وذكروه باسمائه وصفاته وطلبوا منه الاشياء فلو لم يكن دعاء وطلب من ناحية العباد لما كان للطف مجال وعليه فلاوجه لقوله: و ما كان لسؤال العصمة والتوفيق وكشف الضراء والبسط في الخصب والرخاء معنى لأن مالم يفعله في من كل واحد فهو مفسدة له يجب على اللّه تركه ولما بقى في قدرة اللّه ...

لايقال: إن الاصلح ليس بواجب أن يوجد وإلاّ لكان الناس كلهم مجبولين على الخير فان ذلك اصلح.

لأنا نقول اجاب عنه المحقق الطوسي ـ قدس سره ـ في شرح الاشارات بأن الاصلح بالقياس إلى الكل غير الاصلح بالقياس إلى البعض والأوّل واجب دون الثاني وليس كون الناس مجبولين على الخير من ذلك القبيل كما مرّ[1].

فالمقصود من الاصلح الواجب هو مايكون اصلح بالنسبة إلى النظام الاتم.

لايقال: إن الاصلح لو كان واجباً لزم وجوب ايجاد ما لانهاية له من الزوائد لأن المفروض انتفاء المفسدة وثبوت المصلحة في كل زائد بعد زائد ولو في مورد واحد و من المعلوم أن وجود ما لا نهاية له ممتنع.

لأنا نقول اجيب عنه بمثل ما مرّ وحاصله أن كل ممكن بالنظر إلى نفسه من

١ـ شرح الاشارات ج٣/٣٧٤ ـ ٣٧١.

حيث هو صالح له الوجود واما بالنظر إلى غيره فقد يكون وجوده اصلح من عدمه وقد يكون عدمه اصلح من وجوده واختيار الاصلح من الطرفين واجب من القادر الحكيم الغني العالم ومن المعلوم أن دائرة الاصلح بحسب النظام الكلي يتضيّق دائرته و ينتهى بموافقة النظام الأتم.

هذا مضافاً إلى أن ايجاد افراد غير متناهية على سبيل التعاقب واقعاً في زمن غير متناه كنعم الجنّة التى لاتنقطع لاهلها ابدا ليس ممتنعا بل الممتنع حصول غير المتناهي من الافراد مجتمعة، وهذا غير لازم فالحق أن الاصلح واجب و إن كان كذلك[1].

ومما ذكر يظهر أن الاصلح يجب عند وجود الداعي وانتفاء الموانع ولذا قال المحقق الطوسي ـ قدس سره ـ: والاصلح قد يجب لوجود الداعي وانتفاء الصارف انتهى.

ونظير قاعدة الاصلح في الملاك والمناط هي قاعدة امكان الاشرف المذكورة في الفلسفة و إن اختصت جريانها بالموارد الخاصة كما اذا كان الاخس والاشرف متماثلين في المهيّة حتى يكون وجود الاخس دليلاً على امكان وجود الاشرف واذا كان الاشرف من المبدعات التي فوق عالم الاجسام والحركات بحيث يكفي امكانها الذاتي في فيضان وجودها عن مبدعها بحيث لايتصور لفيضان وجودها مانع اصلاً فصدور الاخس دليل على امكان الاشرف، و كون المبدء المتعال فياضاً وجواداً مع عدم فرض المانع دليل على صدور الاشرف وعليه فالصدور معلل بصفات المبدء المتعال وهذا هو وجه شباهة قاعدة امكان الاشرف بقاعدة الاصلح حيث إن الحكماء ذهبوا في قاعدة امكان الاشرف ايضاً إلى أن الامساك عن افاضة وجود الاشرف محال بعد فرض كون المبدء المتعال فياضاً

١ـ توضيح المراد في شرح كشف المراد ٢/٦٣٣ ـ سرمايه ايمان الفصل الثامن/٨٤ـ٨٢.

مطلقاً وجواداً على الاطلاق دائم الفضل على البرية وباسط اليدين بالعطية كما اوضحها المحقق الآملي في دررالفوائد[١].

وقد اتضح مما ذكرنا لحدّ الان أن قاعدة اللطف من القطعيات والبديهيات بل لاتختص بالمبدء المتعال اذ كل عاقل في اموره واهدافه لم يغفل عنها ولذا يهيئ مايقرب به إلى اهدافه ويجتنب عما ينافيها.

قال الفاضل الطالقاني ـ قدس سره ـ ما هو حاصله: انه لاشك في أن اللطف عند اللّه تعالى وخلقه واجب وكل اخذوها في امورهم الاترى أن الوالد اذا ارادان يصير ولده عالماً أتى بمقرباته وهيئ له اسبابه بانحائها المختلفة من اعداد المقدمات والتشويق والتهديد والتنبيه والتخويف وغيره.

الاترى ان الام بالنسبة إلى تربية بناتها تكون كذلك ولن يجعلوا انفسهم في ترك الاسباب والمقربات معذورين بل الامر اعظم من ذلك فان الحيوانات ايضاً يفرون من نقض الغرض هل ترى أن العنكبوت اخرب ما نسجه لمحلّ سكناه أو ترى النمل رمى ما جمعه للتغذى به بل كل بذل اهتمامه وسعيه لحفظه وابقائه وليس ذلك إلا لكون حفظ الغرض واعداد المقدمات الموصلة إليه امراً فطرياً مضافاً إلى كونه واجباً عقلياً بالحكمة وعليه فكل شبهة القيت في كلية القاعدة واهية كالشبهات التي القيت في قبال القطعيات العقلية والبديهيات الحسية ولاضير في ذلك بعد كونها بديهية واتفاقية[٢].

الشبهات حول القاعدة

وبعد ما مر من وضوح قاعدة اللطف وبداهتها لاحاجة إلى ذكر هذه

١ـ راجع دررالفوائد في شرح المنظومة ٢/١٢٣ـ١١٩.

٢ـ كاشف الاسرار/٥٧ـ٥٣.

الشبهات إلاّ انّى اذكر جملة منها تتميماً وتحكيماً واليك هذه الواهيات.

منها أن اللطف لو كان لازماً لما اختص اللطف بناحية من النواحي كارض الحجاز والشامات وفيه كما في انوار الهدى انه لادليل على اهمال ساير النواحي خصوصاً مع كفاية بلوغ اللطف لوصول الخبر اليهم هذا مضافاً إلى احتمال أنهم ممن هاجروا إلى تلك القارة من المدن التي بلغ إليها النبوة(١).

أضف إلى ذلك احتمال أن يكون محرومية بعض النواحي من جهة منع المانعين والظالمين والمزاحمات قال في الميزان: واما فعلية الانذار بحيث يبلغ كل فرد فرد من الامّة مضافاً إلى اصل الاقتضاء واطراد الدعوة في كل واحد واحد فحكومة العلل والاسباب المتزاحمة في هذه النشأة المادية لاتوافقه كما لاتوافق سائر المقتضيات العامة التي قدّرها الصنع كما أن في بنية كل مولود انساني أن يعمّر عمراً طبيعياً والحوادث تحول بين اكثر الافراد و بين ذلك و كل مولود مجهز بجهاز التناسل للاستيلاد والايلاد و كثير من الافراد يموت قبل بلوغه فلايبلغ ذلك إلى غير ذلك من النظائر فالنبوة والانذار العام لكل أمّة لا يستلزم استلزاماً ضرورياً أن تبلغ الدعوة كل شخص من اشخاصها بل من الجائز أن تبلغ بلاواسطة او معها بعض الامة وتتخلف عن بعض لحيلولة علل واسباب مزاحمة بينه وبين البلوغ فمن توجهت منهم إليه الدعوة وبلغته تمت عليه الحجة ومن توجهت إليه ولم تبلغه لم تتم عليه الحجة وكان من المستضعفين وكان امره إلى اللّه قال اللّه تعالى «إلاّ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً» النساء/٩٨(٢).

منها أن اللطف واجب إذا علم خلوه من جهات المفسدة اذ مجرد وجود

١ـ راجع انوار الهدى للبلاغي/١٢٤.

٢ـ الميزان ١٧/٣٨ ـ ٣٧.

المصلحة لايكفي في اللزوم وخلوه عن المفسدة غير معلوم ومن المعلوم أن مع احتمال المفسدة لاموجب للحكم باللزوم.

وفيه كما في شرح التجريد أن جهات القبح بعد كوننا مكلفين بتركها في الشريعة و عالمين بها حيث كانت جهات القبح مبينة في الشرع معلومة ومحدودة فاذا نظرنا إلي اللطف علمنا خلوه من جهات المفسدة عقلا و شرعاً[١].

ومنها أن وجود الامام أو النبي(ص) و إن كان لطفاً ولكن لايمكن الحكم بلزومه مع احتمال أن يكون فائدة وجودهما ممكنة الوصول من ناحية اخرى.

وفيه اولاً: انه ليس اشكالاً في قاعدة اللطف بل هو اشكال في لطفية بعض المصاديق وبعبارة اخرى هو نزاع صغروي لاكبروي.

وثانياً: أن لطفية وجود الامام معلومة بعد عدم امكان القاء الوحي إلى الناس بانفسهم لعدم قابليتهم لذلك وبعد عدم تفويض الامر إلى الملائكة لأن يمنعوا المتخلفين ويرشدوا الباقين نحو المصالح و المفاسد.

وبالجملة اذا نظر إلى وضع الناس وشرائطهم وعدم جعل طريق اخر لايصال اللطف انحصر اللطف في وجود النبي أو الامام عليهما الصلوات والسلام[٢].

ومنها أن اللطف لوكان لازماً في كل عصر فكيف يكون الامر في زمان الغيبة فإن الناس في هذا الزمان محرومون عن ارشاد الامام واجراء العدالة والحدود والقصاص بيده.

وفيه أن الامام لطف مضاعف و جوده لطف وتصرفه لطف اخر فان منع عن تصرفه مانع بقي لطف وجوده كالانبياء الماضين(ص) فإن كثيراً منهم ارسلوا من

١ـ راجع شرح التجريد/٣٢٥ـ٣٢٦.

٢ـ راجع شرح وترجمة التجريد للعلامة الشعراني قدس سره/٥٠٩.

ناحية اللّه سبحانه وتعالى لاجراء الحدود والارشاد وغير ذلك من وظائف النبوة والرسالة و مع ذلك لم يتمكنوا من التصرف في الامور بجهة منع المانعين وهكذا بعث النبي الاعظم(ص) في المكة المكرمة و لم يتمكن من التصرف في الامور قبل الهجرة بل بعد الهجرة أيضاً لم يتمكن من ذلك بالنسبة الى اقصى النواحي وابعدها وعلى الله تعالى ان يتم حجته على الناس بوجود النبي أوالامام لئلاّ يقولوا ربنالولا ارسلت الينا رسولاً فنتبع آياتك.

قال المحقق الطوسي ـ قدس سره ـ في متن التجريد: و وجوده لطف وتصرفه آخر و عدمه منا[1].

قال الشيخ المفيد ـ قدس سره ـ: اللطف الواجب على اللّه تعالى في الامام هو نصبه وتكليفه بالامة واللّه تعالى قد فعل ذلك فلم يكن مخلاً بالواجب وإنما الاخلال بالواجب من قبل الرعية فإنهم يجب عليهم أن يتابعوه و يمتثلوا اوامره ونواهيه ويمكنوه من انفسهم فحيث لم يفعلوا ذلك كانوا مخلين بالواجب فهلاكهم من قبل انفسهم.

فالحاصل أن القاعدة تامة ولاشبهة فيها من ناحية الكبرى الكلي والمناقشات الصغروية لاوقع لها.

قال بعض الاعلام من المعاصرين إن قاعدة اللطف من جهة كلية الكبرى تامة عقلاً ولامجال للاشكال فيها ولو كان اشكال فهو من جهة احراز بعض صغرياتها ففي كل مورد احرزت الصغرى ينطبق الكبرى الكلّية عليه والنبوة والامامة من الامور التي نعلم من جهة العقل أو السمع أو كليهما وجود المصالح وانتفاء المفاسد فيها ولذا نرى وقوع لطف النبوة والامامة في الاف سنة في الاعصار السابقة ونرى ايضاً ان العقل حكم من طريق قاعدة اللطف بالحكم

١ـراجع التجريد وشرحه/٣٦٢.

الجزمي على لزوم وجود اشخاص بعنوان النبي أو الامام في جميع الاعصار لوجود المقتصي وفقدان الموانع الشخصية والنوعية.

قال الشهيد القاضي الطباطبائي في تعليقته على جنّة المأوى: هذه القاعدة من القواعد المشهورة في الكتب الكلامية تمسك بها الامامية والمعتزلة في امور من المباحث الكلامية واستدلوا بها في تشييد بعض عقائدهم الدينية ولكن كثرت البحوث العلمية بين علماء الامامية في صحة هذه القاعدة وعدمها وأنها هل هي تامة أم لا، فمن قائل انها صحيحة تامة ومن ذاهب إلى انها غير صحيحة ولكن من ينعم النظر في هذه البحوث واجال التفكير في ابوابها يرى أن تلك القاعدة من حيث الكبرى تامة صحيحة وإنما الاشكال في احراز صغراها و كل الاشكالات ترجع إلى صغرى هذه القاعدة.

وقصارى القول أن اصل القاعدة لاينبغي انكارها اذ بعد ثبوت تعلق الغرض بشيء على وجه الاطلاق وملاحظة كون بعض الاشياء مقرباً إلى امتثاله تعالى مبعداً عن مخالفته و وجود المقتضى لذلك الشئ وعدم المانع عنه بالنسبة إلى القابل والفاعل وغيرهما وكونه بحيث لو فات يفوت الغرض فالعقل يحكم حينذاك بالضرورة بوجوب الاتيان بذلك الشيء على الأمر الذي تعلق غرضه بذلك إلى أن قال:

وماقيل إن العقل لايستقل بوجوب حفظ الغرض على اللّه تعالى الذي هو مدرك القاعدة فيؤخذ عليه أن نقض الغرض مما لايقدم عليه الحيوانات فكيف بالانسان وكيف بالصانع الحكيم سبحانه فيا هل ترى الطيور تهدم اوكارها والبهائم العجم تألف مضاريها نعم ينبغي الاشارة بأن العقول المتعارضة للبشر بما أنها لااحاطة لها بجميع مصالح الاشياء ومفاسدها غالباً وعدم معرفة تلك العقول بمقتضيات الاشياء و موانعها مما يتعلق بنظام ذلك الامر سواء كان شخصياً أو نوعياً أم بالنظر إلى النظام الكلى فلذلك يتعسّر على البشر احراز

صغرى قاعدة اللطف فكم من قواعد مسلمة صحيحة لايصح الاستدلال بها في بعض الموارد الجزئية للشك في كونها من صغرياتها أو للعلم بعدم شمولها لها[١].

التنبيهات والاشارات السمعية

إن الاصول العقلية كثيراً ما مذكورة بنحو في الآيات القرانية والاخبار المروية ولكنها غالباً ليست بترتيب الكتب الاستدلالية من تبين المطالب بالاشكال الاربعة المنطقية بل هي اشارات وتنبيهات إلى الكبريات أو مباديها أو غاياتها أو لوازمها وكيف كان فكلها ارشادات إلى العقل و تنبيهات إلى الفطرة التي توقظ الفطرة وتوجب ازدياد البصيرة في العقل.

فلنذكر بعض هذه بالنسبة إلى قاعدة اللطف في المقامين.

١ـ جنة المأوى/٢٧٢.

المقام الاول في الايات

وهي على اقسام:

منها ما اشير فيه إلى مبادي قاعدة اللطف

١ـ قوله تعالى: «كتب ربكم على نفسه الرحمة»

هذه الاية تصرح بعدم انفكاك الرحمة من ذاته سبحانه وتعالى اذ مع كون الرحمة فرض ذاته على ذاته لامجال للتخلف كما يقيضيه برهان اللطف لما مر من أن مقتضى كمال الذات واوصافه هو اللطف والرحمة من دون تخلف وإلاّ لزم الخلف في كمال ذاته واوصافه وهو محال.

وهذه الاية الكريمة تدل على مفاد هو ازيد من مفاد جميع الايات الدالة على كونه تعالى رحيماً ورؤفاً

ولذا استدل به في دلائل الصدق لاثبات وجوب نصب الامام على اللّه تعالى حيث قال: الثانى أن نصب الامام واجب على اللّه تعالى فلابد أن يكون الاختيار والتعيين منه تعالى ويدل على وجوبه عليه الكتاب والعقل، اما الكتاب فقوله تعالى «كتب ربكم على نفسه الرحمة» وبالضرورة أن نصب الامام رحمة[1].

لايقال قوله تعالى: كتب ربكم على نفسه الرحمة مختص بقبول التوبة

١ـ دلائل الصدق ج٢/٢٥ ـ ٢٣.

كما يدل عليه صدر الاية «واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فأنه غفور رحيم».

وعليه فلاكلية له حتّى يشير إلى سبب اللطف بالتقرير المذكور.

لانا نقول قبول التوبة مع اظهار السلام والامان مورد الاية والعبرة بعموم الوارد لا بخصوصية المورد و يشهد على تعميم قوله تعالى: كتب ربكم على نفسه الرحمة ذكره في بعض الموارد الاخرى مما يقتضيه اللطف كقوله تعالى: قل لمن ما في السموات والارض قل للّه كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لايؤمنون.

قال في الميزان: ولازم كتابة الرحمة على نفسه أن يتم نعمته عليهم بجمعهم ليوم القيامة ليجزيهم باقوالهم واعمالهم فيفوزبه المؤمنون ويخسر غيرهم ولذلك ذيل بقوله وهو كالنتيجة في الحجة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه فاكّد المعنى بابلغ التاكيد لام القسم ونون التاكيد وقوله لاريب فيه والحجة التي اقيمت في هذه الاية على المعاد غير ما اقيمت من الحجتين في قوله تعالى: و ماخلقنا السماء والارض و مابينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار.

فإنّ الايتين تقيمان الحجة على المعاد من جهة أن فعله تعالى ليس بباطل بل له غاية ومن جهة أن التسوية بين المؤمن والكافر والتقي والفاجر ظلم لايليق به تعالى وهما في الدنيا لايتميزان فلابد من نشأة اخرى يتميزان فيها بالسعادة والشقاوة وهذا غير ما في هذه الاية من السلوك إلى المطلوب من طريق

الرحمة[١].

هذا مضافاً إلى أن سعة رحمته لاتساعد الحمل على الجزئي كما دل عليها الايات الكثيرة، منها قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء[٢].

٢ـ قوله تعالى: اللّه لطيف لعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز من كان يريد حرث الاخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الاخرة من نصيب[٣].

واللطيف اما من لطف بضم العين كشرف فهو بمعنى عليم بدقائق الامور وخبير بها واما من لطف بفتح العين كضرب فهو بمعنى الرفق والرحمة.

قال في الميزان: وقد رتب الرزق في الاية على كونه لطيفاً بعباده قوياً عزيزاً دلالة على انه تعالى بلطفه لايغيب عنه احد ممن يشاء أن يرزق ولا يعصيه وبقوته لايعجز عنه و بعزته لايمنعه مانع والمراد بالرزق مايعم موهبة الدين الذي يتلبس بها من يشاء من عباده على ما يشهد به الاية التالية ولذا الحق القول فيه بقوله «اللّه الذي انزل الكتاب بالحق والميزان».

والمحصل من معنى الايتين أن اللّه سبحانه لطيف بعباده جميعاً ذو قوة مطلقة وعزة مطلقة يرزق عباده على حسب مشيته وقد شاء فيمن اراد الآخرة وعمل لها أن يرزقه منها ويزيد فيه وفيمن اراد الدنيا وعمل لها فحسب أن يؤتيه منها وماله في الاخرة من نصيب» انتهى[٤].

فالاية المباركة تفيد انه تعالى عالم بدقائق الامور و حوائج خلقه ورحيم بهم ولايترك خلقه من دون عناية إلى مايحتاجون إليه في دنياهم واخرتهم بل

١ـ الميزان ج ٧/٢٥.

٢ـ آل عمران/١٥٦.

٣ـ الشورى/٢٠.

(٤) الميزان ١٨/٤٠.

يرزقهم مايعيشون ويستكملون به وعليه فاذا كان هو عالم بدقائق الامور ومايحتاج إليه خلقه في استكمالهم ولايمنعه مانع فلايهمل مهام الامور كارسال الرسل وبعثة الانبياء ممايكون دخيلاً في حياة الجامعة الانسانية.

وبما ذكر يظهر صحة الاستشهاد بكل مادل من الايات الكريمة على انه تعالى لطيف أو رحيم أو رؤف بعباده لأن كلها تشير إلى اسباب وجود اللطف كما أن البرهان العقلي دل على أن مقتضى عنايته وعلمه تعالى وكماله الذاتي هو ارسال الرسل وبعث الانبياء، وإلاّ لزم الخلف في علمه وكماله.

ومنها ماشير فيه إلى غايات اللطف

غير خفى أن المقصد في ارسال الرسل وبعث الانبياء هو الهداية وجعل السبيل السوى والصراط المستقيم والانذار والتبشير ورفع الاختلاف واجراء العدالة والقسط وتدل عليه الايات الكثيرة واليك بعضها:

١ـ قوله تعالى «إن علينا للهدى» [1] واستدل به في دلائل الصدق[2] وكيف كان فهذه الاية الكريمة مما يدل على أن الهداية مما لاينفك عن ساحة قدسه حيث عبر بقوله إن علينا. ومن المعلوم أن هذا الالزام ليس الزاماً غير يا من ناحية غير الذات حتى لايليق بقدسه وجنابه بل هو الالزام الذاتي الذي يقتضيه كمال ذاته كما عرفته آنفا في مورد الرحمة.

ومن المعلوم أن الهداية امر إضافى ولها متعلق وهو كمال وجود الانسان في الدنيا والاخرة كما أن ساير الموجودات ينالون الكمال بالهداية و إن اختلفت

١ـ الليل/١٢.

٢ـ دلائل الصدق ج٢/٢٣ ـ ٢٥.

أنحاء الهداية في الانسان واكثر الموجودات فان غالب الموجودات هدايتها هداية تكوينية واما الانسان فله مضافاً إلى الهداية التكوينية هداية شرعية وقد نص اللّه سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بأن هدايته تعالى تشمل جميع الموجودات وغاية كل موجود أن يهتدي إلى ما يتم به خلقه بحسب مايليق به الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى[١].

قال في الميزان: بين اللّه سبحانه و تعالى أن من شأنه وامره تعالى أن يهتدى كل شيء إلى مايتم به خلقه ومن تمام خلقه الانسان أن يهتدي إلى كمال وجوده في الدنيا والاخرة[٢]. وهذه الهداية مما لايتم كمال الانسان في الدنيا والاخرة الاّ بها، فان الأنسان بنفسه لايتمكن من تتميم نقيصته فان عقله وعلمه محدود ولايشرف بالحقائق اللازمة في طريق الكمال كما أن فطرته محتاجة إلى الايقاظ بوسيلة الرسل والانبياء وإلا فلاتقدر على إيصال الانسان نحو الكمال كما هو المشاهد والمحسوس في أبناء البشر الذين لايتوجهون إلى التعليمات العالية.

فانحصر الامر في أن الهداية المذكورة تحصل بارسال الرسل وبعث الانبياء فهم مرسلون من ناحية اللّه تعالى لهداية الناس نحو كمالهم فالهداية غاية ارسالهم وبعثهم فاللّه تعالى يهدى الناس إلى مايحتاجون إليه في طريق استكمالهم.

٢ـ كان الناس امة واحدة فبعث اللّه النبيّين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه و مااختلف فيه إلاّ الذين اوتوه من بعد ماجائتهم البينات بغيا بينهم فهدى اللّه الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من

١ـ طه/٥٠.

٢ـ الميزان ٢/١٣٥.

الحق باذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[١].

هذه الكريمة تدل على أن البعثة لرفع الاختلاف الحاصل من الطبيعة البشرية وهدايتهم نحو الحقيقة والكمال والصراط المستقيم والمؤمنون يهتدون بهدايته تعالى بخلاف الكفار فإنهم يبقون في الاختلاف من جهة البغي والحسد والرذائل الاخلاقية.

والمستفاد من الاية الشريفة أن الاختلاف لا يرفع إلاّ بالبعثة وارسال الرسل فهم مرسلون و مبعوثون لرفع الاختلافات البشرية وهدايتهم إلى حقيقة الامر فرفع الاختلاف من غايات ارسال الرسل وبعث الانبياء.

قال في الميزان: من المعلوم أن الانسان غير متمكن من تتميم هذه النقيصة من قبل نفسه فإن فطرته هي المؤدية إلى هذه النقيصة فكيف يقدر على تتميمها وتسوية طريق السعادة والكمال في حياته الاجتماعية.

واذا كانت الطبيعة الانسانية هي المؤدية إلى هذا الاختلاف العائق للانسان عن الوصول إلى كماله الحري به وهي قاصرة عن تدارك ما ادت إليه واصلاح ما افسدته فالاصلاح (لوكان) يجب أن يكون من جهة غير جهة الطبيعة وهى الجهة الالهية التي هي النبوة بالوحي ولذا عبر تعالى عن قيام الانبياء بهذا الاصلاح ورفع الاختلاف بالبعث ولم ينسبه في القران كله إلاّ إلى نفسه مع أن قيام الانبياء كساير الامورله ارتباطات بالمادة بالروابط الزمانية والمكانية. فالنبوة حالة الهية (وإن شئت قل غيبية) نسبتها إلى هذه الحالة العمومية من الادراك والفعل نسبة اليقظة إلى النوم بها يدرك الانسان المعارف التي بها يرتفع الاختلاف والتناقض في حياة الانسان وهذا الادراك والتلقي من الغيب هو

١ـسورةالبقره/٢١٣.

المسمى في لسان القران بالوحي[١].

ثم إن تقييد الهداية في قوله تعالى «فهدى اللّه الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه» باذنه يدل على أن الهداية و رفع الاختلاف اللذين من غايات ارسال الرسل وبعث الأنبياء لم تكن الزاماً من الناس ولاايجاباً منهم على اللّه تعالى فان اللّه سبحانه لايحكم عليه حاكم ولايوجب عليه موجب إلاّ ما اوجبه على نفسه كما صرح بذلك العلامة الطباطبائي ـ قدس سره ـ في تفسيره الميزان فراجع.

٣ـ وعلى اللّه قصد السبيل و منها جائر ولو شاء لهديكم اجمعين[٢] واستدل به في دلائل الصدق[٣].

قال في الميزان: القصد على ماذكره الراغب وغيره استقامة الطريق وهو كونه قيّما على سالكيه يوصلهم إلى الغاية والظاهر أن المصدر بمعنى الفاعل والاضافة من اضافة الصفة إلى موصوفها والمراد السبيل القاصد بدليل مقابلته بقوله «ومنها جائر» أي ومن السبيل ماهو جائر أي مائل عن الغاية يورد سالكيه غيرها و يضلّهم عنها.

والمراد بكون قصد السبيل على اللّه وجوب جعل سبيل قاصد عليه تعالى يسلكه عباده فيوردهم مورد السعادة والفلاح واذ لاحاكم غيره يحكم عليه فهو الذي اوجب على نفسه أن يجعل لهم طريقاً هذا نعته ثم يهديهم إليه إلى أن قال: واذ كان من الممكن أن يتوهم أن لازم جعله قصد السبيل أن يكون مكفوراً في نعمته مغلوباً في تدبيره و ربوبيته حيث جعل السبيل ولم يسلكه الأكثرون وهدى إليه ولم يهتدبه المدعوون دفعه بقوله تعالى: ولو شاء لهداكم اجمعين

١ـ الميزان ٢/١٣٥.

٢ النحل/٩.

٣ـ دلائل الصدق ج٢/٢٣ـ٢٥.

أي إن عدم اهتداء الجميع ليس لعجز منه سبحانه عن ذلك أو غلبة من هؤلاء المتخلفين وظهورهم عليه بل لانه تعالى لم يشأ ذلك ولو شاء لم يسعهم إلاّ أن يهتدوا جميعاً فهو القاهر الغالب على كل حال.

وبعبارة اخرى السبيل القاصد الذي جعله اللّه تعالى هو السبيل المبنى على اختبار الانسان يقطعه بإتيان الاعمال الصالحة واجتناب المعاصى عن اختيار منه وما هذا شأنه لم يكن مما يجبر عليه ولا عاماً للجميع. انتهى موضع الحاجة منه[1].

فالاية المذكورة ايضاً تدل على أن جعل السبيل القاصد والصراط المستقيم مما لاينفك عن ذاته تعالى ومن المعلوم أن هذا الامر لايكون إلاّ ناشئا عن كمال ذاته لئلا يضلّ الناس ولايتحيّروا في سلوكهم نحو كمالهم وهذا الجعل من غايات ارسال الرسل فإنّ بهم يتقدح السبيل القاصد والمستقيم كما لايخفى.

٤ـلقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن اللّه قوي عزيز[2].

قال في تفسير الميزان: استئناف يتبين به معنى تشريع الدين بارسال الرسل وانزال الكتاب والميزان وأن الغرض من ذلك قيام الناس بالقسط وامتحانهم بذلك وبانزال الحديد ليتميز من ينصر اللّه بالغيب و يتبيّن أن امر الرسالة لم يزل مستمراً بين الناس ولم يزالوا يهتدي من كل امّة بعضهم وكثير منهم فاسقون[3].

فتولى القسط والالتزام به من اهداف الرسالة وغاياتها وهذه الغاية لاتحصل بدون امداده تعالى بارسال الرسل وانزال الكتب لعجز البشر عن تشخيص موارد

١ـ الميزان ١٢/٢٢٦ ـ ٢٢٤.

٢ـ الحديد/٢٥.

٣ـ الميزان ١٩/١٩٦.

القسط و إن اقر بحسن القسط والعدل وقبح الظلم والتعدي ولذلك ترى الناس لايزالون مختلفين في تشخيص موارد العدل والقسط فلاتغفل.

ومنها ماأشير فيه إلى لوازمها من اتمام الحجة منه تعالى مع ارسال الرسل وهنا آيات متعددة:

١ـ قوله تعالى: رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً(١).

قال في الميزان: احوال ثلاثة أو الاول حال والاخيران وصفان له(٢).

وهذه الاية تشير إلى احدى لوازم البعثة من اتمام الحجة منه تعالى اذ مع البعثة تحقق ارشاد الانسان نحو مايصلح ومايفسد ونصب السبيل القاصد أمام الانسان وتحقق شرائط القيام بالقسط وغير ذلك مما يلزم للسلوك نحو الكمال والسعادة.

فحينئذ حصل اللطف والرحمة من ناحية الله تعالى للعباد فمن آمن وعمل فقد اهتدى بهداية الله سبحانه وتعالى وفاز فوزاً عظيماً.

ومن كفر وعصى فقد تمت الحجة عليه اذ لاعذر له في تمرده وعصيانه مع بلاغة بيانه تعالى وعليه فاتمام الحجة منه تعالى متحقق بارسال الرسل والبعثة ويكون من لوازمها.

٢ـ ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى(٣).

قال في الميزان: الظاهر أن ضمير (من قبله) للبينة (في الاية السابقة) باعتبار أنها القران والمعنى ولو انا اهلكناهم لاسرافهم وكفرهم بعذاب من قبل أن تأتيهم البينة لم تتم عليهم الحجة ولكانت الحجة لهم علينا ولقالوا ربنا لولا

١ـ النساء/١٦٥.

٢ـ الميزان ٥/١٤٨.

٣ـ طه/١٣٤.

ارسلت رسولاً فنتّبع آياتك وهي التي تدل عليها البيّنة من قبل أن نذل بعذاب الاستئصال و نخزى.

وقيل الضمير للرسول المعلوم من مضمون الاية السابقة بشهادة قولهم «لو لا ارسلت إلينا رسولاً» وهو قريب من جهة اللفظ والمعنى الاول من جهة المعنى ويؤيده قوله «فنتّبع آياتك» ولم يقل فنتّبع رسولك[١].

فهذه الاية تدل على أن الحجة للناس لوكان المؤاخذة والهلاكة الدنيوية بدون البينة والبرهان اذ لهم العذر حينئذ في ارتكاب المحرمات والاخلال بالواجبات والمؤاخذة والعقاب مع عدم علمهم بالبينة والبرهان ينافيه ما اقتضاه كمال ذاته من العدل ويبعد عن ساحة قدسه سبحانه وتعالى نفى اللّه عز وجل عن ذاته تعذيب الناس في الدنيا من دون اتمام الحجة فضلاً عن العذاب الاخروى.

ومثله في الدلالة قوله تعالى «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً»[٢].

وقال في الميزان: ظاهر السياق الجاري في الاية ومايتلوها من الآيات بل هي والآيات السابقة أن يكون المراد بالتعذيب الدنيوي كعقوبة الاستئصال ويؤيده خصوص سياق النفي «وما كنا معذبين» حيث لم يقل و لسنا معذبين ولانعذب لن نعذب بل قال «و ما كنا معذبين» الدال على استمرار النفى في الماضى الظاهر في انه كانت السنة الالهية في الامم الخالية الهالكة جارية على أن لايعذبهم إلاّ بعد أن يبعث إليهم رسولاً ينذرهم بعذاب اللّه.

ويؤيده ايضاً انه تعالى عبر عن هذا المبعوث بالرسول دون النبي فلم يقل حتى نبعث نبياً وقد تقدم في مباحث النبوة في الجزء الثاني من الكتاب في

١ـ الميزان ١٤/ ٢٦٠ ـ ٢٦١.

٢ـ الاسراء/١٥.

الفرق بين النبوة والرسالة أن الرسالة منصب خاص الهي يستعقب الحكم الفصل في الامّة اما بعذاب الاستئصال واما بالتمتع من الحياة إلى اجل مسمى انتهى موضع الحاجة[١].

ولعل إليه ينظر ايضاً قوله تعالى «ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان اللّه ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون[٢].

فإن نفى الظلم مع اتيان الرسل بالبينات حاك عن استحقاق الاقوام الهالكة لما وقع عليهم من التعذيب والفناء لعدم وجود العذر لهم مع اتمام الحجة منه تعالى باتيان الرسل بالبينات فاهلاكهم مع اتمام الحجة وعدم صحة اعتذارهم ليس بظلم كما لا يخفى.

وكيف كان فالعذاب سواء كان عذاباً دنيوياً أواخروياً لم يحسن الاّ بارسال الرسل أو البعثة و وجه حسنه حينئذ هو اتمام الحجة للّه تعالى.

وإليه يؤل ما في اللوامع من انه اذا لم يفعل اللّه اللطف لم يحسن عقابه للمكلف على ترك الملطوف فيه[٣].

٣ـ قوله تعالى «يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسُل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا و ماربك بغافل عما يعملون»[٤].

١ـ الميزان ١٣/٦٠.

٢ـ التوبة/٧٠.

٣ـ اللوامع الالهية/١٥٢.

٤ـ الانعام/١٣٢.

والاية الكريمة تشهد على أن الكفار عند التعذيب الاخروى اعترفوا بتقصيرهم واتمام الحجة عليهم وهذا امر ملازم لاتمام اللطف من ناحيته تعالى و الا لامكن لهم العذر ولايعترفون بالتقصير بل اعتذروا وكان عذرهم حجة لهم وفي ذيل الاية اشير إلى سنة اللّه تعالى في اهلاكهم بهلاكة دنيوية وهى انه تعالى لم يهلكهم من دون ايقاظهم وارشادهم بل بعد ارسال الرسل وبعث الانبياء وانجاز اللطف اهلك من هلك عن بينة كما لايخفى.

٤ـ قوله تعالى «وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين»[1].

والاية واضح الدلالة على أن الكافرين اعترفوا جميعاً بإلحجة وانقطاع العذر وهذا من لوازم اتمام اللطف كما لايخفى.

٥ـ قوله تعالى: «كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل اللّه من شيء إن انتم إلاّ في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا في اصحاب السعير[2].

والاية تصرح بأن كل فوج من افواج المعذبين بنار جهنم اعترفوا بمجيئ النذير واتمام اللطف وانقطاع العذر وتكذيبهم وقالوا في النهاية لوكنا في الدنيا نطيع الرسل في نصائحهم ومواعظهم أو عقلنا حجة الحق ماكنا اليوم في اصحاب السعير.

٦ـ قوله تعالى «وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما

١ـ الزمر/٧١.

٢ـ الملك/١١.

للظالمين من نصير»(١).

قال في الميزان وفي المجمع الاصطراخ الصياح والنداء بالاستغاثة افتعال من الصراخ انتهى.

وقوله ربنا اخرجنا الخ بيان لاصطراخهم وقوله أو لم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر الخ جواب اصطراخهم وقوله فذوقوا وقوله فما للظالمين من نصير كل منهما متفرع على ما قبله.

والمعنى وهؤلاء الذين في النار من الكفار يصطرخون ويصيحون بالاستغاثة فيها قائلين ربنا اخرجنا من النار نعمل صالحاً غير سيّئ غير الذي كنا نعمل فيقال رداً عليهم ـ كلاّ ـ أو لم نعمركم عمراً يتذكر فيه من تذكر و جاءكم النذير فانذرتكم هذا العذاب فلم تتذكّروا ولم تؤمنوا فذوقوا العذاب فما للظالمين من نصير ينصرهم ليتخلصوا من العذاب(٢).

٧ـ قوله تعالى: «يا أهل الكتاب قد جائكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جائكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير»(٣).

الفترة سكون بعد حدة والمراد هنا سكون خال عن مجيء رسول الله.

والمعنى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم مامسّت الحاجة إلى بيانه والزمان خال من الرسل حتى بيّنوا لكم ذلك.

فهذه الاية تدل على أن مجيئ الرسول والتبيين المذكور إنما هو لاتمام الحجة عليهم لئلا يقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير.

ثم لايخفى عليك أن اتمام الحجة بالنسبة إلى القرى والبلاد كما يحصل

١ـ الفاطر/٣٧.

٢ـ الميزان ١٧/٤٩.

٣ـ المائدة/١٩.

بارسال الرسول في كل قرية كذلك يتم الحجة بارسال رسول عظيم في ام القرى والاكتفاء به اذ بوصول خبره وامكان الارتباط لا يبقى عذر لمن سمع والتفت واحتمل الصدق.

ولذلك اشار في قوله تعالى إلى ذلك حيث قال «ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاد كبيراً»(١).

قال في الميزان: أي لو اردنا أن نبعث في كل قرية نذيراً ينذرهم ورسولاً يبلغهم رسالاتنا لبعثنا ولكن بعثناك إلى القرى كلها نذيراً ورسولاً لعظيم منزلتك عندنا(٢).

١ـ الفرقان/٥٢.

٢ـ الميزان ٢٤٧/١٥.

المقام الثاني في الروايات

وهي ايضاً على طوائف

منها يدل على أن بعث الانبياء وارسالهم ناش من لطفه ورحمته كقول الصادق (عليه السلام) أن اللّه عز وجل مكّن انبياءه من خزائن لطفه وكرمه ورحمته وعلمهم من مخزون علمه وافردهم من جميع الخلائق لنفسه فلايشبه اخلاقهم واحوالهم احد من الخلائق اجمعين اذ جعلهم وسائل سائر الخلق إليه وجعل حبّهم وطاعتهم سبب رضاه وخلافهم وانكارهم سبب سخطه وامر كل قوم باتباع ملة رسولهم ثم أبى ان يقبل طاعة احد الاّ بطاعتهم ومعرفة حقهم وحرمتهم ووقارهم وتعظيمهم وجاههم عنداللّه فعظم جميع انبياء اللّه ولاتنزلهم بمنزلة احد من دونهم.[1]

ومنها ما يدّل على محتوى برهان اللطف من أن اللّه تعالى لايترك الخلق مع ماهم عليه من الحاجة إلى الارشاد اذ هو لايناسب مقتضى صفاته وكماله وحكمته.

الف ـ ماروواه في الكافي عن علي بن ابراهيم عن ابيه عن الحسن بن ابراهيم عن يونس بن يعقوب قال كان عند ابي عبداللّه (عليه السلام) جماعة من اصحابه منهم حمران بن اعين ومحمد بن النعمان و هشام بن سالم والطيار

١ـ بحارالانوار ١١/٣٧.

وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب فقال ابوعبدالله (عليه السلام) ياهشام الا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته فقال هشام ياابن رسول الله اني أُجلّك واستحييك ولا يعمل لساني بين يديك فقال ابوعبدالله (عليه السلام) اذا امرتكم بشيء فافعلوا.

قال هشام بلغنى ماكان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة فعظم ذلك علي فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فاتيت مسجد البصرة فاذا انا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملةٌ سوداء متزر بها من صوف وشملة مرتد بها[1] والناس يسألونه فاستفرجت الناس فافرجوا لى ثم قعدت في آخر القوم على ركبتى ثم قلت ايها العالم إني رجل غريب تأذن لي في مسألة.

فقال لى نعم.

فقلت له ألك عين فقال يا بني أي شيء هذا من السؤال وشيء تراه كيف تسأل عنه.

فقلت هكذا مسألتي.

فقال يابنى سل وان كانت مسألتك حمقاء.

قلت اجبني فيها.

قال لي سل.

قلت ألك عين قال نعم.

قلت فما تصنع بها قال أرى الالوان والاشخاص.

قلت فلك انف قال نعم.

قلت فما تصنع به قال اشم به الرائحة.

قلت ألك فم قال نعم قلت فما تصنع به قال اذوق به الطعم.

١ـشملة بالفتح كساء مخمل دون القطيفة

قلت فلك اذن قال نعم قلت فما تصنع بها قال اسمع بها الصوت.

قلت ألك قلب قال نعم قلت فما تصنع به قال اميّز به كلّما ورد على هذه الجوارح والحواس.

قلت أو ليس في هذه الجوارح غنى عن القلب فقال لا.

قلت وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة قال يابني إن الجوارح اذا شكت في شئ شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردّته إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك. قال هشام فقلت له فإنما اقام اللّه القلب لشك الجوارح.

قال نعم.

قلت لا بد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح.

قال نعم.

فقلت له يا ابامروان فاللّه تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها اماما يصحح لها الصحيح ويتيقن به ماشك فيه ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم و شكهم واختلافهم لايقيم لهم اماماً يردّون إليه شكهم وحيرتهم ويقيم لك اماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك.

قال فسكت ولم يقل لي شيء ثم التفت الى فقال لي انت هشام بن الحكم فقلت لا قال أمن جلسائه قلت لا قال فمن اين انت قال قلت من أهل الكوفة قال فانت اذا هو ثم ضمّني إليه واقعدنى في مجلسه وزال عن مجلسه ومانطق حتى قمت.

قال فضحك ابوعبداللّه (عليه السلام) وقال ياهشام من علمك هذا.

قلت شئ اخذته منك والّفته.

فقال هذا واللّه مكتوب في صحف ابراهيم وموسى[1].

١ـ كافي ج١/١٦٩.

قال العلامة الشعراني - قدس سره - في توضيح القلب المذكور في كلام هشام وعمرو بن عبيد: والقلب هنا هو العقل المجرد لانه الذي يبين خطاء الحواس ولايمكن ذلك الاّ بادراك الكليات اذ لايمكن لحس ان يدرك مدركات الحس الاخر حتى يحكم بصحّته أو فساده وليس وظيفة الحس الاّ التاثر لا الحكم ثم قال في ذيل قوله «ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم الخ»:

علمنا بالاستقراء أن كل فعل منه تعالى صادر عن عناية تامة بخلقه ومراعاة مصالحه، ومن امثلته خلق القلب في الانسان لازالة شكوك الحواس، والمعتنى بالافراد والجزئيات كيف يهمل مصالح العامة وايضاً علم اللّه تعالى أن النوع في بقائه محتاج إلى ذكر وانثى فخلق منهما في كل نوع افراد ولم يتفق في زمان أن ينحصر الخلق في احدهما بأن يكون جميع الناس ذكوراً في عهد أو اناثا كلهم أواكثرهم.

وعلم انهم يحتاجون إلى من له ذوق الصنعة واستعداد العلم كما يحتاجون إلى الاقوياء والشجعان والتجار محبّى جمع المال ليحملوا الارزاق والحوائج من بلد إلى بلد فخلق جميع ذلك.

والامام العادل المعصوم العالم بما اراده اللّه من خلقه الذي لا يخاف في تنفيذ امره من لومة لائم من اوجب الامور والزمها وهو اهم من النجار والبناء والشاعر.

ولابد من أن يخلق احدا بصفات يستحقّ بها الامامة كما خلق جماعة بصفات يستحقّون بها تولى الصنائع والحرف والعلوم والتجارة والحرب والدعوة إلى الخير ومحبة الناس والترحم على الضعفاء وتسبيل الخيرات وتعليم الاداب وغيرها.

ومن ذلك يتفطن لسر الغيبة والظهور وأن وجود الامام لطف وتصرفه لطف كما انّ في كل امة طائفة مستعدة لانواع الحرف والمناصب فإن كانت البيئة مناسبة لتحصيل الكمال واشتهروا وإلا خملوا وانغمروا.

ومرجع استدلال هشام بن الحكم إلى اللطف والعناية الثابتين بالاستقراء وتتبع افعاله تعالى[١]

ب ـ مارواه شيخنا الصدوق ـ قدس سره ـ عن مولانا علي بن موسى الرضا (عليهماالسلام):

فان قال فلم وجب عليهم معرفة الرسل والاقرار بهم والاذعان لهم بالطاعة.

قيل لانه لما لم يكن في خلقهم وقواهم مايكملون لمصالحهم وكان الصانع متعاليا عن أن يرى وكان ضعفهم وعجزهم عن ادراكه ظاهراً لم يكن بدّ من رسول بينه وبينهم معصوم يؤدّي إليهم امره ونهيه وادبه ويقفهم على مايكون به احراز منافعهم ودفع مضارهم اذ لم يكن في خلقهم مايعرفون به مايحتاجون إليه منافعهم ومضارهم.

فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجيئ الرسول منفعة ولاسدّ حاجة ولكان يكون اتيانه عبثاً لغير منفعة ولاصلاح وليس هذا من صفة الحكيم الذي اتقن كل شيء[٢].

ج ـ مارواه سيدنا الرضي ـ قدس سره ـ في نهج البلاغة عن اميرالمؤمنين عليه السلام في خطبته: فبعث فيهم رسله و واتر اليهم انبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسيّ نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول ويروهم آيات المقدرة من سقف مرفوع ومهاد تحتهم موضوع ومعائش تحييهم وآجال تفنيهم واوصاف تهرمهم واحداث تتابع عليهم ولم يخل اللّه سبحانه خلقه من نبي مرسل أو كتاب منزل أو حجة لازمة او محجّة قائمة رسل لايقصّر بهم قلة عددهم الخطبة[٣].

١ـ شرح اصول الكافي ج٥/١٠٩ـ ١١٠.

٢ـ بحارالانوار ١١/٤٠.

٣ـ بحارالانوار ١١/٦١ـ ٦٠.

د ـ مارواه شيخنا الصدوق ـ قدس سره ـ في توحيده عن الدقاق عن ابي القاسم العلوي عن البرمكي عن الحسين بن الحسن عن ابراهيم بن هاشم القمي عن الفقيمي عن هشام بن الحكم قال سأل الزنديق الذي اتى اباعبدالله (عليه السلام) فقال: من اين اثبتّ انبياءً ورسلاً.

قال ابوعبدالله (عليه السلام) انا لما اثبتنا انّ لنا خالقا صانعا متعاليا عنا وعن جميع ما خلق و كان ذلك الصانع حكيماً لم يجز ان يشاهده خلقه ولا يلامسوه ولا يباشرهم ولا يباشروه ويحاجّهم ويحاجّوه فثبت أن له سفراء في خلقه يدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم و في تركه فناؤهم فثبت الامرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه وثبت عند ذلك انه له معبّرين (انّ له معبرين) وهم الانبياء وصفوته من خلقه حكماء مؤدبين بالحكمة ومبعوثين بها غير مشاركين للناس في احوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فلاتخلو ارض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقال الرسول ووجوب عدالته(١).

قال العلاّمة الشعراني ـ قدس سره ـ في ذيل قوله «لو لم يكن حكيماً لجازان يخلق الخلق عبثاً» من الاصول المقررة في مذهبنا وجوب اللطف على الله تعالى وهو فعل مايقرب العبد إلى الطاعة ويبعده عن المعصية وعليه يبتني اثبات النبوة والامامة ولو لم يكن اللطف لجازان يكون امر التشريع مفوضاً إلى الناس يضعون كل حكم يرونه للعمل به في معاملاتهم وسياساتهم ولم يفوض اليهم قطعاً.

وقد استدل بهذا الاصل اعني اللطف هشام بن الحكم في وجوب نصب

١ـ بحارالانوار ١١/ ٣٠ـ ٣٩.

الامام كما يأتي أن شاء اللّه في قصته مع عمرو بن عبيد و الشامي في محضر الصادق(عليه‌السلام).

وقد روى العلامة المجلسي رحمة اللّه عليه في البحار حديثاً فيه فوائد كثيرة في المجلد الثالث (ص ٧٩). ننقله تبركاً عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قال قال اللّه تعالى من اهان لي ولياً فقد بارزنى بالمحاربة وما ترددت عن شئ انا فاعله ما ترددت في قبض نفس المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولابد منه. ومايتقرب إلي عبدي بمثل اداءماافترضت عليه و لايزال عبدي يبتهل الي حتى احبّه ومن احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا موئلا إن دعانى اجبته و ان سألنى اعطيته و ان من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فاكفه عنه لئلا يدخله عجب فيفسده وإن من عبادي المؤمنين لمن لايصلح ايمانه إلاّ بالفقر ولو اغنيته لافسده ذلك و إن من عبادى المؤمنين لمن لايصلح ايمانه إلاّ بالغنى ولو افقرته لافسده لك و إن من عبادي المؤمنين لمن لايصلح ايمانه إلاّ بالسقم ولو صححت جسمه لافسده ذلك وأن من عبادى المؤمنين لمن لايصلح ايمانه إلاّ بالصحة ولو اسقمته لافسده ذلك اني ادبر عبادي لعلمى بقلوبهم فاني عليم خبير انتهى.

ثم انا نرى عناية اللّه تعالى في كل شيء حتى انه لم يهمل البقة والنملة وماهو اصغر منهما فخلق لها ماتحتاج إليه في حياتها ومعاشها فبالحرى ان يكون له عناية بالانسان خصوصاً فيما يتعلق باشرف جزئيه وهو نفسه وقالوا أن الاحكام الشرعية لطف في الواجبات العقلية لأن مايعرف الانسان بعقله حسنه وقبحه لايستغني فيه عن الشرع حتى يقر به إلى امتثال حكم العقل اذا علم فيه ثواباً وعقاباً اخرويين[1].

وقال في العقائد الحقه بعد ذكر رواية هشام بن الحكم عن ابي عبداللّه

١ـ شرح الكافي ٥/٧٩ ذيل الصفحة.

(عليه السلام) ويونس بن يعقوب عن ابي عبدالله (عليه السلام) والمستفاد من هاتين الروايتين انه بعد اثبات ان لنا خالقا صانعا حكيما فاهمال الخلق خلاف الحكمة فلابد من ارشادهم إلى الكمال وحيث انهم لم يجزان يشاهدوه فلابد من سفراء يعبّرون عنه إلى خلقه وعباده يدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم ومافيه بقاؤهم وفي تركه فناؤهم والسفراء وإن شاركوا الخلق في الخلق والتركيب لكنهم مؤدبون بالحكمة غير مشاركين مع الناس في كمالاتهم وإلاّ لاحتاجوا إلى غيرهم وهذا لايختص بزمان دون زمان فلابد من وجود الحجة في كل عصر وزمان بوجود نبي أو وصي وإلى ماذكر يرجع مااستدل به المتكلمونالخ[1].

ومنها مايدل على لوازم قاعدة اللطف وهي اخبار كثيرة واليك شطر منها وهو مايشير فيه إلى أن الحجة تتم بمجئ الرسل وبعث الانبياء.

١ـ ما رواه العياشي عن عبدالله بن سنان قال سئل ابوعبدالله (عليه السلام) عن قول الله «ولو شاء ربك لجعل الناس امّة واحدة ولايزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك» قال كانوا امة واحدة فبعث الله النبيين ليتّخذ عليهم الحجة[2].

٢ـ ماروواه في توحيد الصدوق عن اميرالمؤمنين (عليه السلام) في بعض خطبه ... الذي خلق الخلق لعبادته واقدرهم على طاعته بما جعل فيهم وقطع عذرهم بالحجج فعن بينة هلك من هلك وعن بينة نجا من نجا ولله الفضل مبدئا ومعيدا[3].

٣ـ ماروواه فيه ايضاً عن ابى عبدالله عن ابيه (عليهما السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعض خطبه ... وسما في علّوه واستتر عن

١ـ العقائد الحقه/١١ ـ ١٠.

٢ـبحارالانوار١١/٣١.

٣ـتوحيد الصدوق/٣٢.

خلقه وبعث اليهم الرسل لتكون له الحجة البالغة على خلقه ويكون رسله اليهم شهداء عليهم وابتعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وليعقل العباد عن ربهم ماجهلوه فيعرفوه بربوبيته بعد ماانكروا ويوحّدوه بالالهية بعد ما عضدوا[١].

٤ـ مارواه في عيون اخبار الرضا (عليه السلام) عن الدقاق عن الاسدي عن النخعي عن عمه النوفلي عن علي بن ابي حمزة عن ابي بصير عن ابي عبدالله (عليه السلام) انه سأله رجل فقال لأي شيء بعث الله الانبياء والرسل إلى الناس فقال لئلا يكون للناس على الله حجة من بعد الرسل و لئلا يقولوا ما جاءنا من بشير و لانذير وليكونوا حجة الله عليهم ألا تسمع الله عز وجل يقول حكاية عن خزنة جهنم واحتجاجهم على أهل النار بالانبياء والرسل «ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزّل الله من شيء ان انتم إلاّ في ضلال كبير»[٢].

٥ـ مارواه فيه ايضاً عن ابي عبدالله (عليه السلام) إن الله هو العدل و إنما بعث الرسل ليدعوا الناس إلى الايمان بالله ولايدعوا احداً إلى الكفر قلت فيكون الرجل كافراً قد ثبت له الكفر عندالله فينقله الله بعد ذلك من الكفر إلى الايمان.

قال إن الله عز وجل خلق الناس على الفطرة التي فطرهم الله عليها لايعرفون ايماناً بشريعة ولاكفراً بجحود ثم ابتعث الله الرسل اليهم يدعونهم إلى الايمان بالله حجة لله عليهم فمنهم من هداه الله ومنهم من لم يهده[٣].

٦ـ مارواه في الكافي عن عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن ابن فضال عن ثعلبة بن ميمون عن حمزة بن محمدالطيار عن ابي عبدالله

١ـ توحيد الصدوق/٤٤.

٢ بحارالانوار/٣٩.

٣ـ بحارالانوار ١١/٤٠.

(عليه السلام) في قول اللّه عز وجل «وما كان اللّه ليضل قوماً بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون» قال حتّى يعرفهم مايرضيه ومايسخطه وقال «فالهمها فجورها وتقويها» قال بين لها ماتأتي و ماتترك وقال «انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً» قال عرفناه اما آخذ واما تارك الحديث[١].

قال الملا صالح المازندراني في شرح الحديث ومن لطف اللّه تعالى علينا انه منّ علينا بنعمة من الهداية وجعل قبول تلك شكراً لها وتركها كفراناً فسبحانه ماارفع شأنه واعظم امتنانه[٢].

٧ـ محمد بن يحيى وغيره عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن ابن ابي عمير عن جميل بن دراج عن ابن الطيار عن ابي عبداللّه (عليه السلام) قال: إن اللّه احتج على الناس بما آتاهم وعرّفهم[٣].

قال الملا صالح المازندراني ـ قدس سره ـ في شرح قوله «بما آتاهم» من الحجج الباطنة وهي العقل والقدرة والعلم وغيرها وقوله «وعرفهم» بالحجج الظاهرة من ارسال الانبياء ونصب الاوصياء وانزال الكتب والمقصود انه تعالى اكمل حجته عليهم باطناً وظاهراً[٤].

٨ـ عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحجال عن ثعلبة ابن ميمون عن عبدالاعلى بن اعين قال سألت اباعبداللّه (عليه السلام) من لم يعّرف شيئا هل عليه شيء قال لا[٥].

وفي الشرح: الفعل مبني للمفعول من التعريف يعنى من لم يعرفه اللّه انه

١ـ الكافي ١/١٦٣.

٢ـ شرح الكافي ٥/٦٧.

٣ـ الكافي ١/١٦٢.

٤ـ شرح الكافي ٥/٥٩.

٥ـ الكافي ١/١٦٤.

شيئا من المعارف والاحكام بارسال الرسول وانزال الكتاب ـ إلى ان قال ـ وفيه دلالة واضحة على ان من لم تبلغه الدعوة ومن يحذو حذوهم لا يتعلق به التكليف اصلا[١].

٩ـ الاخبار الدالة على ان الارض لاتخلو عن الحجة

كقول العبد الصالح (عليه السلام) إن الحجة لاتقوم للّه على خلقه إلاّ بامام حتى يعرف[٢].

ونحوه عن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) بطرق متعددة.

وكقول ابي عبداللّه (عليه السلام) الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق[٣].

وكقوله (عليه السلام) ايضاً إن الارض لاتخلو إلاّ وفيها امام كى ما أن زاد المؤمنون شيئا ردهم و إن نقصوا شيئا اتمّه لهم[٤].

وكقوله (عليه السلام) ايضاً: مازالت الارض إلاّ وللّه فيها الحجة يعرف الحلال والحرام ويدعو الناس إلى سبيل اللّه[٥].

وكقوله (عليه السلام) قال إن اللّه لم يدع الارض بغير عالم ولولا ذلك لم يعرف الحق من الباطل[٦].

وكقول ابي عبداللّه (عليه السلام) قال إن اللّه تعالى اجلّ واعظم من ان يترك الارض بغير امام عادل[٧].

١ـ شرح الكافي ٥/٧٦.

٢ـ الكافي ١/١٧٧.

٣ـ الكافي ١/١٧٧.

٤ـ الكافي ١/١٧٨.

٥ـ الكافي ١/١٧٨.

٦ـ الكافي ١/١٧٨.

٧ـ الكافي ١/١٧٨.

قال الملا صالح المازندراني في ذيل قوله «إن اللّه تعالى اجلّ واعظم من أن يترك الارض بغير امام عادل» وهو الحجة للّه تعالى على الخلق كما قال جلّ شأنه لئلا يكون للناس على اللّه حجة.

واعلم أن الامامية تمسكوا على وجوب وجود الامام من قبله تعالى - بعد الايات والروايات المنقولة من طرق العامة والخاصة البالغة حد التواتر معنى - بانه اذا كان للخلق رئيس قادر يمنعهم من المحظورات ويحثهم على الواجبات كانوا معه اقرب إلى الطاعات وابعد عن المعاصي منهم بدونه واللطف واجب على اللّه تعالى.

واعترض عليهم المخالفون وقالوا انما يكون لطفاً واجباً اذا كان ظاهراً زاجراً عن القبائح قادراً على تنفيذ الاحكام واعلاء لواء كلمة الاسلام وهذا ليس بلازم عندكم.

فالامام الذي ادعيتم وجوبه ليس بلطف والذي هو لطف ليس بواجب.

والامامية اجابوا عن ذلك بأن وجود الامام لطف سواء تصرف أو لم يتصرف.

كما نقل عن امير المؤمنين (عليه السلام) انه قال: لا تخلو الارض من قائم للّه بحجة اما ظاهراً مشهوداً أو خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج اللّه وبيناته». وتصرفه الظاهر لطف اخر

والحق ان الرئيس العالم العادل المتصرف لطف من اللّه تعالى به على عباده وانما جاء عدم التصرف من سوء آدابهم كما أن النهي عن شرب الخمر مثلاً لطف صدر منه تعالى وانما جاء عدم قبوله من قبل العبد.

على أن عدم تصرفه ممنوع لأن له تصرفات عجيبة في نوع الانسان وتدبيرات غريبة في عالم الامكان يرى ذلك من له عين صحيحة وطبيعة

سليمة[١].

والمحصل من البحث أن قاعدة اللطف بالمعنى الذي ذكرنا امر يدل عليه العقل والفطرة والكتاب والسنة فلامجال لتشكيك فيها ومما ذكر يظهر صحة كلام الفاضل الطالقاني ـ قدس سره ـ عند شروع البحث حيث قال: دلت الادلة الاربعة على وجوب اللطف ولزومه.

اذ في القران الكريم آيات كثيرة تدل على ذلك نظير الايات الدالة على انه تعالى حكيم وانه اتم الحجة على خلقه ولم يبق لهم عذراً وانه تعالى منزه عن العبث ولم يخلق السماء والارض ومابينهما بالباطل وانه تعالى محسن ولطيف بعباده وانه عز وجل اسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة كما في سورة لقمان (عليهالسلام).

واما الاحاديث والادعية فلاتعد ولاتحصى يكفي في ذلك الصحيفة الكاملة روحي لقائلها الفداء.

واما اجماع الامامية ـ قدس الله اسرارهم ـ وضرورة مذهب الائمة (عليهم السلام) فهو ظاهر من كلماتهم.

والدليل العقلي يكشف عن ذلك.

فلامجال للتأمل والترديد في القاعدة ولو كان تمجمج في بعض خصوصيات القاعدة من بعض فقهائنا ـ قدس الله اسرارهم ـ فلايضر بعد الاتفاق عليه في كتب الاصول والفقه على ثبوت قاعدة اللطف في الجملة وسيأتي أن التأمل من بعض ناش من قلة التأمل والسرعة[٢].

١ـ شرح اصول الكافي ٥/١٥٢ ـ ١٥١.

٢ـ كاشف الاسرار طبع المكتبة العلمية الإسلامية/٥٣.

قاعدة اللطف وموا ردها

هذه القاعدة قاعدة تامة جارية في موارد كثيرة يجمعها كل ما له دخل في نيل الخلق إلى كماله اللائق به

منها التكليف ومنها البعثة وارسال الرسل ومنها اقامة البينة والمعجزات ومنها اتصاف النبي والرسول بالعصمة واوصاف الكمال ومنها نصب الامام الحافظ المعصوم ومنها قبول التوبة. قال تعالى «فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة» [١] ومنها اجابة المضطرين قال تعالى «أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء» [٢] ومنها اجابة الدعوات وقضاء الحوائج المشروعة كما في كاشف الاسرار ومنها نصرة الانبياء والاولياء لتثبيت مرامهم كما هو المشاهد في تاريخهم فإن الغلبة معهم وان كانوا بحسب الظاهر مقتولين ومشرودين كما قال سبحانه وتعالى إن الذين يحادّون اللّه ورسوله اولئك في الاذّلين كتب اللّه لاغلّبن انا ورسلي ان اللّه قوي عزيز [٣] ومنها المجازات الاخروية والنيل الى الكمالات الاخروية كما نص عليه في كتابه الكريم «كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه» [٤] وغير ذلك مما يقتضيه لطفه تعالى

١ـ الانعام/٥٤.

٢ـ النمل/٦٢.

٣ـ المجادلة/ ٢١ ـ ٢٠.

٤ـ الانعام/١٢.

عموماً أو خصوصاً.

بل ذهب جماعة من الاصحاب كالشيخ الطوسي والعلامة و فخر المحققين والشهيدين - قدس الله ارواحهم - إلى عقلية وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واستدلوا الذلك بقاعدة اللطف قال الشهيد الثاني - قدس سره - اما وجوبهما عقلاً فلانهما لطف و هو مقتضى قواعد العدل.

ولعل تقريبها بان يقال إن الحكمة كما تقتضي لزوم ارسال الرسل والتكليف والوعد والوعيد والانذار والتبشير ونصب الاوصياء والاولياء عليهم الصلوات والسلام عليه تعالى لتتميم الغرض من خلقة الانسان وهو تقريب العباد نحو المصالح وكمالهم وتبعيدهم عن الفساد لدخالة هذه الامور في انجاز الغرض وتحققه كذلك تقتضي الحكمة المذكورة أن يأتي كل حكيم بماله دخل في تقريب العباد نحو المصالح وتبعيدهم عن الفساد والهلاك لعموم الملاك وهو الحكمة ومن جملة ما له دخل تام في تحقق هذا الغرض هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيلزم ذلك بحكم قاعدة اللطف.

الاترى تقبيح العقلاء لمن تمكن من النهي اذا رأى اهله أو غيره اخذ شيئا ليهلك نفسه مع العلم والعمد ولم ينه بل ينظر ويرى حتى يهلك اهله أو جاره أو احباؤه أو غيرهم.

وليس ذلك إلاّ لوجوب النهي عن المنكر من جهة الحكمة وكونه مسؤولاً ولذا جعلوه محكوماً ومستحقاً للمذمة.

ألاترى مسؤولية المديرين والوزراء وليس ذلك إلاّ لتمكنهم من الامر بالمصالح والمقررات الصالحة ومن النهي عن المفاسد والمضار فاذا سامح أعضاء الوزارة أو المؤسسات في المعروفات أو اتوا بالمنكرات كالرشوة وغير ذلك وسكت أو سامح المدير أو الوزير في ذلك كان مسؤولاً عند الناس ومحكوماً ومستحقاً للمذمة والعقوبة وليس ذلك إلاّ لوجوب النظارة والامر بالمعروف والنهى عن

المنكر عند التمكن والقدرة كما لايخفى ومما ذكر يظهر ما في كلام صاحب الجواهر حيث انكر الوجوب العقلي مستدلا بضرورة عدم وصول العقل إلى ذلك على وجه يترتب عليه الذم والعقاب نعم يمكن دعوى وصوله إلى الرجحان في الجملة لاعلى الوجه المزبور(١).

لايقال كما عن السيد المرتضى ـ قدس سره ـ بانه لوكان واجباً بالعقل لم يرتفع معروف ولم يقع منكرا ويكون اللّه تعالى مخلاً بالواجب واللازم بقسميه باطل والمقدم مثله.

بيان الشرطية أن الامر بالمعروف اذا كان هو الحمل عليه وحقيقة النهي عن المنكر هو المنع عنه فلو وجبا بالعقل لكان واجباً على اللّه تعالى لأن كل ماوجب بالعقل فانّه يجب على كل من حصل وجه الوجوب في حقه، فكان يجب على اللّه تعالى الحمل على المعروف والنهى عن المنكر فاما أن يفعلهما فلايرتفع معروف ولايقع منكر ويلزم الالجاء او لايفعلهما فيكون مُخلاً بالواجب (٢).

لانّا نقول وجوبهما على اللّه تعالى بملاك قاعدة اللطف لايزيد على وجوب البعثة بهذا الملاك فكما ان في البعثة لزم ان يكون اختيار الانسان محفوظاً لان الغرض هو نيل الانسان الى الكمال اللائق به بالاختيار لا بالقهر والالجاء كذلك في الامر بالمعروف لزم أن يكون الاختيار محفوظاً وإلاّ لزم الاخلال بالغرض وعليه فوجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لايوجب في حقه تعالى إلاّ بعض مراتبه كالامر بالواجبات الشرعية والعقلية والنهي عن المنكرات العقلية والشرعية والامر بالامر بها والامر بالنهى عنها فلايلزم من وجوبهما عقلا الالجاء لعدم اعمال المراتب الاخرى كالحمل على المعروف والحبس عن المنكر.

١ـ الجواهر ٢١/٣٥٩.

٢ـ راجع المختلف/١٥٨.

ومما ذكر يظهر انّه لاوجه لانكار وجوبهما رأساً في حقه تعالى كما يظهر من كلام الشهيد ـ قدس سره ـ حيث قال بعد التصريح بوجوبهما عقلا من باب قاعدة اللطف: ولا يلزم من ذلك وجوبهما على اللّه تعالى اللازم منه خلاف الواقع ان قام به أو الاخلال بحكمته تعالى ان لم يقم لاستلزام القيام به على هذا الوجه الالجاء الممتنع في التكليف ويجوز اختلاف الواجب باختلاف محاله خصوصاً مع ظهور المانع فيكون الواجب في حقه الانذار والتخويف بالمخالفة لئلا يبطل التكليف وقد فعل[1].

وذلك لعدم وجود موجب لرفع اليد عن المقدار الممكن من الامر بالواجبات العقلية والشرعية والنهي عن المحرمات الشرعية والعقلية فتدبر جيداً.

صغرياتها المعلومة والمشكوكة

ولا يخفى عليك أن كل قاعدة من القواعد المسلمة لها صغريات معلومة وصغريات مشكوكة ومن المعلوم أن القاعدة مهما اتقنت لاتخلو عن الموارد المشكوكة فاللازم هو الاخذ بها في الموارد المعلومة دون المشكوكة فحسن العدل من القواعد المسلمة عقلاً وشرعاً ومع ذلك ربما يشك صدقه على بعض الموارد من جهة عروض الجهات المختلفة فلابد من المصالحة والتسالم في تلك الموارد ولكن معذلك لايضر ذلك بصحة قاعده حسن العدل وهكذا نقول في المقام إن الشك في تطبيق القاعدة بحسب بعض الموارد لايضر بصحتها وبكليتها في محتواها فإنّ المحتوى الكلي للقاعدة هو لزوم اللطف فيما يحتاج الخلق في نيله إلى كماله الذي هو غرض الخلقة وهو امر لاتخلف فيه والا لزم الخلف في اتصاف الحكيم بحكمته أو في اتصاف المبدء المتعال بالكمال والحكمة نعم

١ـ شرح اللمعة ج ١/١٩٢ ط قديم.

يمكن المناقشة في مورد بأن هذا المورد ليس من موارد ذلك الكلي أو لم يثبت انه من موارده وهو لا يوجب الاشكال فيما علم انه من مواردها كما لا يخفى وهكذا قاعدة الاصلح التي قد مرت الاشاره اليها ايضاً قاعدة كلية بحسب محتواها الكلي ولا يضر بصحتها الشك في بعض الموارد فإنه يرجع إلى الشك في انه يكون اصلح من جميع الجهات من دون مزاحمة بجهة اقوى منها ام لا يكون.

ولذلك قال المحقق اللاهيجي - قدس سره - اذا لم يكن للاصلح مانع مع وجود داعيه لكان الامساك عن الاصلح وافاضة غير الاصلح ممتنعا لانه ترجيح للمرجوح وهو ممتنع لانه يرجع إلى ترجّح من غير مرجح.

فالصغرى لتلك القاعدة ليس هو كل اصلح ولو كان مقرونا بالمانع بل الاصلح الخاص وهو الذي لا يكون مقرونا بالمانع مع وجود داعيه وبهذا التقييد يظهر انه لا يرد على القاعدة شيء من الايرادات بأنها ناشئة من قلة التدبر في حدود القاعدة كما لا يخفى[1].

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

١- راجع سرمايه ايمان/ ٨١.